دور العشائر
ومكانتها في الإسلام

مكتب المرجع الديني ولي أمر المسلمين
آية الله العظمى الإمام الخامنئي (دام ظلّه)
إدارة شؤون الثقافة والتبليغ

PDF created with FinePrint pdfFactory trial version http://www.fineprint.com

PDF created with FinePrint pdfFactory trial version http://www.fineprint.com

دور العشائر ومكانتها في الإسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَ دِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ وَ أَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ وَ لِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ**».

ومنها «**أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَ لَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ وَ مَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَ تُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَ مَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ**»(١).

يحدثنا التاريخ أن قضاياه المصيرية التي كانت قائمة في المجتمعات الإنسانية منذ آدم كان للعشائر ورؤسائها الدور الكبير في تحديد مسارها، وتحقيقها على أرض الواقع، ويكفي أن نمثّل لذلك بالدعوة الإسلامية التي جاء بها سيدنا محمد (صلّى الله عليه وآله)، فلو لم تلاق قبولاً من رئيس عشيرته أبي طالب (عليه السلام) وبعض أفرادها كالحمزة والإمام علي، وجعفر الطيار (عليهم السلام)

---

١ ـ شرح نهج البلاغة ١: ٣١٢.

PDF created with FinePrint pdfFactory trial version http://www.fineprint.com

لخمدت ودفنت في التراب من اليوم الأول لظهورها.

لقد كانت تتحين قريش الأحايين لضرب النبي (صلّى الله عليه وآله) ودينه، لكن لم تجد فرصة مع وجود عشيرة بني هاشم، وعلى رأسهم أبي طالب (عليه السلام) الذي كان ينعم النبي (صلّى الله عليه وآله) بجوارهم بالمنعة والأمن، فكانت تغطية أبي طالب جانب النبي (صلّى الله عليه وآله) تغطية لدينه الذي جاء به، وكانت المنعة التي آل أبو طالب على نفسه أن يسدلها إلى النبي (صلّى الله عليه وآله)، منعة للدين والدعوة إلى الله تعالى، ولو لا ذلك لقتل النبي (صلّى الله عليه وآله) وانتهت قريش منه ومن دينه وإلى الأبد، لأنهم كثيراً ما كانوا يفكرون بقتله، لو لا أنه يتمتع ودينه بالمنعة في عشيرته وعمه.

وهكذا كان للعشائر ورؤسائها دوراً كبيراً في انتشار الإسلام في المدينة، فعندما تحمّل رؤساء العشائر في المدينة المنورة الدين الإسلامي، واقتنعوا به واتخذوه ديناً يدينون الله تعالى به، دعوا أفراد العشيرة وأفخاذها إلى اعتناق الإسلام والدخول فيه، ونصرة النبي (صلّى الله عليه وآله).

وحتى الحروب التي قامت على عهد النبي (صلّى الله عليه وآله)، والخلفاء من بعده، كان يكفي أن يبلّغ النبي (صلّى الله عليه وآله) أو الخليفة رئيس العشيرة، ليجمع لذلك أفراد عشيرته وفرسانها، ومقاتليها، ويزجهم في غمار الحرب طاعة لقائدهم ونبيهم (صلّى الله عليه وآله).

ومن جهة أخرى نرى في زوايا التاريخ أن للعشيرة ورئيسها أثراً سلبياً على الإسلام، فمثلاً عندما خرج الإمام الحسين (عليه السلام) نصرة للدين، وإحياء للموات من سنن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وإعادة الإسلام إلى الصدارة والشمول، وإرجاع الأمة إلى مشروعها الذي لطالما قاتلت وناضلت، وقدمت كل غالٍ ونفيس من أجله، فعندما خرج الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه

PDF created with FinePrint pdfFactory trial version http://www.fineprint.com

السلام) لأجل ذلك كله، ونادى في القبائل والعشائر طالباً العون والمشاركة، كان قد خذله الكثير منهم وتخلف عنه، وتركوه ومشروعه الاصلاحي، ولكننا نقول؛ لو قدّر وقبلت رؤساء القبائل والعشائر ما دعاها إليه، وتبنت مشروع الحسين (عليه السلام) الاصلاحي، لكانت النتيجة خلاف ما وقع، ولقمع الجور والظلم، وحيت الشريعة ومبادئها.

إذن، فمن هذا العرض نجد بوضوح كبير مدى التأثير الايجابي والسلبي للعشيرة ورؤسائها على التاريخ في قضاياه المصيرية.

ولأجل ذلك اهتم الإسلام بالعشيرة وجعلها من كبريات أهدافه، ولذا فقد كان أول تكاليف النبي (صلّى الله عليه وآله) في مسير دعوته، دعوة عشيرته إلى الإسلام، وإنذارهم من العقاب، قال تعالى مخاطباً نبيه (صلّى الله عليه وآله): { **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** }(٢)، وفعلاً فقد كانت عشيرته أول تحركاته (صلّى الله عليه وآله)، ولأجل ذلك أمر الإسلام بإكرام أفراد العشيرة والتعاطف معهم ونصرتهم، فقد كتب علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى ابنه الحسن (عليه السلام): «... **وأكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول**»(٣)، وقال أيضاً: «... **وصل امرؤ عشيرته فإنّهم أولى ببرّه وذات يده، ووصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهرٌ، وأدبرت عنه دنيا، فإن المتواصلين المتباذلين مأجورون، وإنّ المتقاطعين المتدابرين موزورون**»(٤).

ومن هذا المنطلق فينبغي على كل فرد من أفراد العشيرة، الاهتمام بها وسد حاجتها ما أمكنه ذلك، والوقوف إلى جانبها، فقد قال أبو عبد الله الصادق (عليه

---

٢ ـ الشعراء: ٢١٤.

٣ ـ الكافي ٢: ١٥٣.

٤ ـ نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

PDF created with FinePrint pdfFactory trial version http://www.fineprint.com

السلام): «**صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم... فوالله لقد حدثني أبي (عليه السلام) أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي (عليه السلام) فيكون زينها، أدّاهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه، فتقول: من مثل فلان إنّه لأدّانا للأمانة وأصدقنا للحديث**»(٥).

ولا شك في أن أولى الناس بذلك رئيس العشيرة، فإن صلاح العشيرة إلى حد كبير بصلاحه، وأخلاقها مرتبط بأخلاقه، ولهذا فينبغي الالتفات إلى النقاط التالية:

الأمر الأو: نصرة أفراد العشيرة: لقد دعا الإسلام إلى انتصار العشيرة لأفرادها، وعدم تجاهل مظلومياتهم، ولكن لا بمعنى الدفاع عنه ظالماً كان أو مظلوماً، بل بالعدل والحكمة، يقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، ظالماً بأن ترده عن ظلمه، ومظلوماً بأن تنتصر له**».

وأما نصرة الفرد من أفراد العشيرة والدفاع عنه مع ظلمه واستبداده، جاء الإسلام لمحوه، وتبرأ النبي (صلّى الله عليه وآله) منه، فهي بعيدة كل البعد عن الدين، إذ الدين يأمر بالعدل، قال تعالى: { **إِنّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** }(٦)، ومن العدل إن كان أخوك وابن عشيرتك ظالماً أن ترده عن ظلمه، لأن ذلك هو الدفاع الحقيقي عنه، لا بمعونته في ظلمه.

ومن هنا كان على رؤساء العشائر اشاعة العدل في العشيرة وبين افرادها، والانتصار للمظلومين وإن كانوا من غير عشيرته، والانتصار من الظالم ولو كان من عشيرته، أخذاً بما جاء به سيد الأنبياء محمد (صلّى الله عليه وآله)، مقتفياً ما عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «**ما من مؤمن ينصر أخاه، وهو يقدر**

---

٥ ـ الكافي ٢: ٦٣٦.

٦ ـ النحل: ٩٠.

PDF created with FinePrint pdfFactory trial version http://www.fineprint.com

على نصرته إلاّ نصره الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه هو يقدر على نصرته إلاّ خذله في الدنيا والآخرة»(٧).

الأمر الثاني: الدعوة إلى دين الإسلام: لقد حمل القرآن الكريم والسنة الشريفة المسؤولية في تبليغ هذا الدين الحنيف على كل من يكون له تأثير على المجتمع وأفراده، فحمّل المسؤولية على العلماء، وحمّلها على رؤساء العشائر أيضاً، لما لهم من تأثير بليغ على أفراد عشائرهم، فقد قال الصادق (عليه السلام): «**طلبت الرئاسة فوجدتها في النصيحة لعباد الله**»(٨)، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «**من بذل معروفه استحق الرئاسة**»، فينبغي لرئيس العشيرة أن يعقد الندوات لأفراد عشيرته، ويدعو أهل العلم لتعريفهم على الإسلام وأحكامه ومبادئه، وينبغي أن يفسح المجال أمام العلماء لتثقيف أفراد عشيرته، ورفع مستواهم التربوي والديني، لتكون عشيرته، من عشائر الله، والسالكة درب الوصول إليه.

الأمر الثالث: نشر حكم الإسلام وتطبيقه بين أفراد العشيرة، وترك الحكم بالأعراف وما قرره رؤساء العشائر الأقدمين، فإن اتباع حكم الإسلام أولى من اتباع أحكام غيره، ولقد كان في زمن النبي (صلّى الله عليه وآله) عشائر كثيرة، بل كان نظام الحياة قائم على العشائر، وكان لكل عشيرة قانوناً ونظاماً يحكمها، وأفراد العشيرة تطبق هذه الأحكام، ولكن عندما بايع المسلمون الأوائل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بايعوه على أن يحكموا بما أنزل الله تعالى، ويطبقون قوانينه، فألغى (صلّى الله عليه وآله) الفرق في القوانين بين العشائر، فكان نظامها برمته هو الشريعة عندما طبقت الإسلام وقوانينه، وشاع في القبائل التي دخلت في الإسلام

---

٧ ـ ثواب الأعمال: ١٧٧.

٨ ـ مستدرك الوسائل ١٢: ١٧٣.

PDF created with FinePrint pdfFactory trial version http://www.fineprint.com

أن الانتساب إلى الإسلام أعزّ من الانتساب إلى العشيرة.

ومما ينبغي على رؤساء العشائر المحترمين في الدرجة الأولى جعل حكم الله وتطبيق شريعته، قانوناً للعشيرة وأفرادها، والرجوع إلى تعاليمه أحسن من الرجوع إلى الأعراف والقوانين الجاهلية.

الأمر الرابع: التواصل المستمر مع مراجع الدين ومراكز العلم والمعرفة، فإن من شأن ذلك تعزيز الثقافة، وإشاعة العلم والمعرفة في القبائل، بين أفراد العشيرة، وخصوصاً أطفالهم ذكوراً وإناثاً، فإنهم الجيل الذي سيقبل على عصر كله تطور ومعرفة وثقافة، فينبغي أن ينشأوا على مستوى من المعرفة ليواكبوا الحضارة والتطور.

ونحن بدورنا في ممثلية سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي (دام ظله) حيث نشكر لكم قدومكم، وما لقيتموه في سفركم إلينا، سائلين المولى أن يحفظكم، نهيب بكم في استمرار التواصل معنا، وسنسعى جاهدين ـ ما استطعنا ـ في توفير وسائل المعرفة لأفراد عشائركم، ورفد مناطقكم بالمبلغين، ويكون ذلك بإشرافكم وتحت ظلكم من أجل إيصال الثقافة الإسلامية، لما أخذناه على أنفسنا من خدمة المؤمنين، والعاملين في سبيل الصحوة الإسلامية.

وفقكم الله لكل خير، وسدد خطاكم، وجعلكم دعائم دينه، وممن يحيي شريعة سيد أنبيائه إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مكتب المرجع الديني ولي أمر المسلمين

آية الله العظمى الإمام الخامنئي (دام ظله)

PDF created with FinePrint pdfFactory trial version http://www.fineprint.com